



237-عزم الأمور

(015) سورة الحجر

2026-07-24

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: هل فكرت يوماً في عملٍ صالحٍ، ورجوت أن تقوم به، ثم لم تجد عزمًا من نفسك على فعله؟ قصّر بك العزم، وقصّرت بك الإرادة، عن عملٍ صالحٍ كنت تريد القيام به.

هل نويت يوماً أن تتوب إلى الله، من ذنبٍ أثقل كاهلك، ثم لم تجد في نفسك قوةً على التوبة؟

هل تشعر بفارقٍ كبيرٍ بين ما تحب أن تفعله، ما تريد أن تكون عليه، وما تفعله فعلاً على أرض الواقع؟

أيها الإخوة الأحباب: العزم على فعل شيء، أو ترك شيء، أو ما يُسمّى اليوم قوة الإرادة، هذا من صفات الرُّسل، عليهم صلوات ربّي وسلامه، قال تعالى مخاطباً نبيّه صلى الله عليه وسلم، ومُخاطباً أمته من بعده:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ لِّقَوْمٍ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْقَاسِيُونَ (35)

(سورة الأحقاف)

قال بعض المُفسِّرين: هذه (مِنْ) بيانية، أي لبيان الجنس، كل الرُّسل أولو عزم، أي فاصبر كما صبر أنبياء الله أولو العزم، كلهم أولو عزم، و (مِنْ) لبيان نوعهم وليست للتبويض، وهذا معنى حسن.

وقال بعض المُفسِّرين: (مِنْ) للتبعية، (قَاصِرٌ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) أي هناك رسلٌ كان لهم عزمٌ، واستدلُّوا على ذلك بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (7)
(سورة الأحزاب)

كل الأنبياء أولو عزم:

فذكر الله خمسةً من الرسل، وبمزيةٍ خاصةٍ عن غيرهم، والحقيقة أنَّ كل الأنبياء أولو عزم، ولو أنَّ الله اختصَّ بعضهم بمزيدٍ من الذكر، فللتنبيه على أنَّ ابتلاءهم كانت أعظم، وللتنبيه على أنَّ ما قاموا به من جهدٍ في الدعوة، كان أكثر من غيرهم، وإلا فإنَّ الله لم يُرسل رسلاً، إلا كان من أولو العزم من الرسل.
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كم صبر؟ كم صبر على أذى قُريش؟ كم صبر على أذى أهل الطائف؟ كم صبر على الجوع والحصار في الشَّيْب؟ صبر على الهجرة في سبيل الله، وعلى ترك الوطن، صبر على أذى المنافقين بعد ذلك، وأذى اليهود في المدينة، وما تحدَّثوا في حقِّه وحقِّ السيدة عائشة رضي الله عنها، الطاهرة المُطَهَّرة، وصبر عن الانتقام عندما عاد إلى مكَّة فاتحاً، صبر، كان من أولي العزم صلى الله عليه وسلم.
وكذلك نوحٌ عليه السلام، كم صبر على قومه؟ كان من أولي العزم، دعا قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، وهو يدعوهم إلى الله تعالى ولا يجد منهم إلا الصدود:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7)
(سورة نوح)

سيدنا إبراهيم من أولي العزم، كم صبر على أذى والده وقومه؟ كم صبر عندما أُلقي في النار ليُحزق بها فنجاه الله؟ كم صبر على مرارة فراق ابنه وزوجه بواذٍ غير ذي زرعٍ؟ كم صبر على ذبح ابنه؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَقُلَّ لِلَّهِ لِلْجَبِينِ (103)

(سورة الصافات)

صبر عند بناء البيت، صبر صبراً عجباً عليه السلام، كذلك كان موسى عليه السلام مع قومه بني إسرائيل، وكذلك كان عيسى عليه السلام، كم واجها من الصدود من بني إسرائيل؟ وكم واجها من التعتُّت والأسئلة وغير ذلك؟ (قَاصِرٌ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ).

العزم في القرآن الكريم لم يرد إلا في الأمور المُلِمَّة العظيمة:

أُيِّها الإخوة الكرام: العزم في القرآن الكريم، لم يرد إلا في الأمور المُلِمَّة العظيمة، الإنسان لا يقول: قد عزمت اليوم على أن أكل، أو على أن أخلق شعري، أو على أن أقص أطافري، يعزم أن يقرأ كتاباً نافعاً فَيُثِمَّه، يعزم على قيام الليل فلا يفوته، يعزم على عمل صالح يتقرَّب به إلى الله لبذل ماله، فالعزم يكون للأمور المُهمَّة، يعزم الإنسان على شيءٍ له قيمةٌ في حياته، أو في آخرته، في دينه، وأعظم العزم ما كان في أمور الدين، وما كان في أمور الآخرة، وما كان في صلاح حياتنا الأخروية الأبدية، هذا أعظم العزم.
أُيِّها الإخوة الكرام:
قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَيَمَّا رَحِمَهُ مَنَّ اللَّهُ لَيْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظًا ۖ الْقَلْبَ لَانْقَضَوْا مِنْ خَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)

هذا عزم، إذا اتخذت قراراً بشأنٍ مهمٍّ بعد المشاورة، ثم أخذت قرارك وعزمت على فعل أمرٍ، على خوض حربٍ، على نزال عدوٍّ، فتوكلَّ على الله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (21)

(سورة محمد)

{ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَقَالَ: أَهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصِي يَه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَصَى أَصْحَابِهِ فَلَمَّا كَانَتْ غُرُوبًا، غِيَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا أَشْيَاءَ، فَقَسَمَ لَهُ فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ وَكَانَ يَرعى طَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَعَوْا إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قَسَمَ قَسَمَهُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ يَه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: قَسَمْتُهُ لَكَ، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: **إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ يَصْدُقْكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا**، ثُمَّ تَهَضُّوا إِلَى الْعَدُوِّ، فَأَتَى يَه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَتْهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَهْوَ هُوَ؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَّقَهُ وَكَفَّتُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُنَّةٍ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ مِمَّا طَهَّرَ مِنْ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَبْدُكَ، خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْهِ {
(أخرجه الطحاوي والنسائي والحاكم)

كما قال صلى الله عليه وسلم، عندما يعزم الإنسان على أمرٍ، فيصدق الله تعالى في طلبه، ويهتم له، عندما يعزم على أن يفعل شيئاً يدخله جنَّة ربِّه، هذا من عزم الأمور، وقال تعالى في قضية الطلاق، لأنها بُنِيَانُ أَسْرَةٍ يُحَلُّ رِبَاطُهُ وَهُوَ الْمِيثَاقُ الْغَلِيظُ، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227)

(سورة البقرة)

اليوم بعض الرجال لم يقرؤوا **(وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ)** فجعلوا الطلاق يميناً يحلف به، ليمتنع زوجته من فعل شيءٍ، فيقول لها: إن ذهبت فأنت طالق، عليَّ الطلاق ألا تذهبي، ثم يبدأ بالبحث عن مُقْتَبِ يُقْتَبِ له ما قاله.

مَنْ حَلَفَ بِالطَّلَاقِ فَقَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ:

{ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ }

(أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد)

الشريك الأصغر الذي لا يُخرج من الملة، لكنه وقع في شركٍ خفي، في شركٍ أصغر، لأنه رأى أنَّ الجلفَ بالطلاق شيءٌ عظيمٌ عنده.

{ أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ

كَانَ حَالِقًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ }

(أخرجه مسلم)

أو يتَّخذ الطلاق هزلاً (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) الطلاق قرار، أنت تفصلُ أسرةً، هذا ليس شيئاً بسيطاً، هذا لا يُتلاعبُ به، عندما يتصل بي أيُّ شخصٍ، ويقول قد قلت لزوجتي: إن فعلتِ وإن كذا، قبل أن أفتي له، أقول له: لقد ارتكبتِ باباً عظيماً من الإثم، لأنَّ الطلاق عزمٌ، ولأنك استخدمته استخداماً رخيصاً، وهو فصلٌ لأسرةٍ، وأنت تستخدم الكلمة لانزعاجك من شخصٍ، فتقول له: الطلاق من زوجتي، وما علاقة زوجتك القايعة في البيت، القائمة على أمور أولادك؟!

الطلاق عزمٌ عند استحالة الحياة الزوجية:

قال تعالى: (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) الطلاق عزمٌ عند استحالة الحياة الزوجية، عندما لا يكون هناك مجالٌ، تُستنفد كل العلاجات القرآنية، ويُبعث الحكمان ولا استجابةٍ، ولا سبيل للاستمرار، قال: (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فوراً العزم أيها الكرام في كتاب الله للأمور المهمة، التي تستدعي عزمًا وجهداً وإرادةً وقوة.

ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عزمَ الأمور في كتابه في ثلاث آياتٍ:

أيها الكرام: ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عزمَ الأمور في كتابه في ثلاث آياتٍ:

الأولى في آل عمران، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَتَبْلُوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)

(سورة آل عمران)

والآية الثانية جاءت في لقمان، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)

(سورة لقمان)

والثالثة في سورة الشورى، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)

(سورة الشورى)

الصبر هو عزم الأمور وهو المفتاح:

هذه آيات ثلاث، ذكر الله تعالى فيها عزم الأمور، الكلمة المفتاحية فيها، في الثلاثة، لو انتبهتُم هي الصبر، الكلمة المفتاحية المشتركة في عزم الأمور هي الصبر، الآية الأولى: **(لَتُنْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)** فليس الابتلاء قضية تكون أو لا تكون، وإنما هو حاصل لا محالة **(لَتُنْلُوَنَّ)** وهذه نون التوكيد الثقيلة، قَسَمَ مع التوكيد، أَنَّ الابتلاء حاصل، فَإِنَّكَ أَنْ تَطْنُ أَنَّهُ يُمْكِنُ لَا تُبْتَلَى.

عندها يُشَبِّه حالي إن طُننت ذلك، حال من دخل إلى الجامعة، ثم تفاجأ بعد أشهر بالامتحان، فقال: ما علمتُ أَنَّ هناك امتحاناً، قالوا له: وهل هذه تحتاج إلى إعلام؟! جامعةٌ بغير امتحان، كيف نفرز الطلاب؟ هذا جالٍ من يأتي إلى الدنيا، ثم يأتيه امتحانٌ من الله في ماله أو في نفسه، ثم يتفاجأ، فيتصل ويقول: لماذا يحصل ذلك معي؟ وهل كنت تظن أني يحصل **(لَتُنْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)** الابتلاء قدَرنا **(وَلَتَسْمَعَنَّ)** أيضاً توكيدٌ وقسم **(وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَبِيرًا)** أيضاً قضية الأذى، عندما نعرف أنَّها الكرام طبيعة الطريق نرتاح **(وَلَتَسْمَعَنَّ)** لا بُدَّ من أن تسمع الأذى.

يقول تعالى أنَّها الكرام: وهذه الآية في كتاب الله، تُجيب على تساؤلاتٍ في أعماق النفس، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَثًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَصَّعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4)

(سورة محمد)

لا بُدَّ أَنْ تُمْتَحَنَ بِالظَّالِمِ وَتُمْتَحَنَ الظَّالِمُ بَكَ:

ألا يخطر في بال كلِّ مَنَّا سؤالٌ متكررٌ؟ ولو لم يقله بلسانه لكن في داخله، عندما يرى مثلاً ما يتعرَّض له أهلنا في غزّة، أو ما كُنَّا نتعرَّض له في هذه الأرض المباركة، من الأذى ومن الابتلاء، الله عزَّ وجلَّ قادرٌ، يأتيه الجواب كالبلسم الشافي: **(ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ)** الأمر بسيط، إذا يا ربَّ لماذا لا تنتصر منهم؟ **(وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا)** لا بُدَّ أَنْ تُمْتَحَنَ به وتُمتَحَنَ بك، فتنجح وبسقط، لا بُدَّ أَنْ تُمْتَحَنَ بهذا الظالم وتُمتَحَنَ الظالم بك، لأنَّ الحياة مبنية على الابتلاء **(وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا)**.

ثم يأتي في السؤال الثالث إلى الذهن، لكن يا رب هناك شهداء؟ هناك قتلى؟ الفانورة كبيرة كما يُقال، تابع الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَثًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَصَّعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلُّجُ بِالْهَمِّ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)

(سورة محمد)

آية واحدة تُجيب على هذا الاستفسار في أعماق النفس: **(ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلُّجُ بِالْهَمِّ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6))**

العلاج في خطوتين: صبرٌ مقروناً بالتقوى وال خوف من الجليل:

(لَتُنْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ) وما الحل؟ وأين العلاج؟ وأين عزم الأمور؟ قال: **(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** علاجك في خطوتين، في صبرٍ مقروناً بالتقوى، والخوف من الجليل، لأنَّ الصبر مع التقوى طريق النصر، أمّا الصبر مع المعصية فطريق القهر والفقر، إِنَّ مَنْ يَصْبِرْ وَهُوَ بَعْضِي رَنَّهُ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا صَابِرٌ، والعباد بالله مثلاً حتى تتضح الصورة، يُمنيك في يده كأساً من الخمر والعباد بالله، ويقول لك: أريد أن أنسى، أنا صابرٌ، أي صبرٌ هذا؟! الصبر مع المعصية قهرٌ ثم قبر، لكن الصبر مع الطاعة عزٌّ ونصر **(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)**.

وفي آيةٍ أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا **(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)** إِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)

(سورة آل عمران)

من عزم الأمور أن تصير على الأذى الذي تسمعه:

مهما كثر (فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) من عزم الأمور أن تصير على الأذى الذي تسمعه، وأن تصير على الابتلاء الذي يحصل معك (وَإِنْ تَضَيَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

الآية الثانية يُخاطب فيها لقمان ابنه فيقول: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ) والصلاة مقرونة بالصبر أيضاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَزْرُفُكَ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)

(سورة طه)

لأنَّ الطاعة تحتاج إلى صبرٍ، قال: (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) إِنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد يُصيبك بشيءٍ يؤذيكَ، فيجب أن تصبر على ما أصابك من أذى الناس، فهذا من عزم الأمور.

ثلاث قواعد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأننا اليوم ولله الحمد والمنة، أصبحنا أكثر قدرةً ولله الحمد في مجتمعنا، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا أريد أن أُمَرَّ على الموضوع سريعاً دون ملاحظةٍ، وهي ثلاث قواعدٍ سريعة، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولاً: إنكار المنكر قد يكون باليد وقد يكون باللسان وقد يكون بالقلب:

أولاً: إنكار المنكر قد يكون باليد، وقد يكون باللسان، وقد يكون بالقلب، ولكل مرتبةٍ حُكمها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَمَا لَأَهْلِ الدُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

(سورة النحل)

فقد يُطَلَّب منك أن تنهى عن المنكر بيدك، في بيتك شاشته مفتوحة فيها ما لا يرضي الله، لا يكفي فيها اللسان، لا بُدَّ من اللسان والنصح، لكن لا بُدَّ فيها من يدٍ تتحرَّك وتُغلق الشاشه، أو تُلغى القنوات التي تخزج في بيتك بغير ما يرضي الله، ثم قد يكون الإنكار باللسان، وأنت في الشارع، في الطريق، مع تاجرٍ، وقد تُلجأ إلى إنكارٍ بالقلب في مواطنٍ مُعيَّنة، ولكل مرتبةٍ أحكامها.

ثانياً: الأمر بالمعروف بمعروف والنهي عن المنكر بمعروف:

الأمر الثاني: من أمر بمعروفٍ أو نهى عن منكرٍ، فيجب أن يكون أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالمعروف، لا يستشيط غضباً، ولا يضرب، ولا يشب، ولا يشتم، وإنما بالمعروف، بالحكمة، بالموعظة الحسنة، ومن نهى عن منكرٍ، يجب أن يكون نهيه عن المنكر بمعروفٍ، فأمر بالمعروف بمعروفٍ ونهى عن المنكر بمعروفٍ.

ثالثاً: العفو والمسامحة مع الصبر:

والثالثة والأخيرة: إِيَّاكَ وَتَهَيَّأ عَنْ مُنْكَرٍ يُوَدِّي إِلَى مُنْكَرٍ أَشْبَهَ مِنْهُ، في مواطنٍ مُعيَّنة تنهى عن المنكر فيزداد المنكر، تُسكِت إنساناً عن كلمةٍ فيقول عشرة كلماتٍ، فانتبه إلى هذا الأمر (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

الآية الثالثة أَيْهَا الكرام في سورة الشورى: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) ما هذه اللام أَيْهَا الكرام؟ الجرف في لغتنا، ومن باب أولى في كتاب ربنا له معنى، هذه اللام للتوكيد، وهي اللام المُزحلقة، التي كانت في المُبتدأ فتزحلت إلى الخبر، وهي للتوكيد، المهم أنها للتوكيد، لماذا أكَدْ هُنَا فقال: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)؟ لأنه عندما يكون هناك تدخل بشري في مُصيبتك، فأنت تحتاج مع الصبر إلى عفوٍ ومسامحة، وهذه أشدُّ على النفس من الصبر فقط.

إنسانٌ أصابه مرضٌ - نسأل الله السلامة للجميع - يحتاج إلى الصبر، والصبر من عزم الأمور، لكن إنساناً أصابته مُصيبةٌ ظُلماً من إنسانٍ، فهذا: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أشقُّ على النفس، عندما يأتي الظلم من إنسانٍ، أو تأتي المُصيبة على يد إنسانٍ، ثم تجد أنه من المُناسب أن تغفر له وأن تسامحه، فهذا أشقُّ على النفس، لذلك قال: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) فأكد المعنى.

ما كل ظلم من الناس يُسامح به:

هل كل ما يُصيبنا من إنسانٍ آخر، نحن بحاجةٍ إلى أن نغفر؟ لا طبعاً، لا بالتأكيد، لكن أحياناً تأتي المُصيبة عن طريق إنسانٍ، وترى فيه ندماً، وترى فيه طلباً للمسامحة فتغفر، وهذا من عزم الأمور، أمّا إذا وجدت إنساناً قد استسهل أذى الناس، واستسهل ظلمهم، فرأيت أن تأخذ حقك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۚ فَمَنْ عَفَا وَأَمْلَحَ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)

(سورة الشورى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۚ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126)

(سورة النحل)

فما كل ظلمٍ من الناس يُسامح به، لكن أحياناً تجد نفسك في موطنٍ يجب أن تُسامح، ويجب أن تغفر حتى تُصلح هذا الإنسان، وتُقرِّبه إلى الله، وتنتهاه عن مظلمته وظلمه.

لو لم تكن قادراً على الصبر لما أمر الله به:

أُثِّمُ الإخوة الكرام: الآيات الثلاث كما قلت يجمعها الصبر، فالصبر هو عزم الأمور، والصبر هو المفتاح، ولأن سألتني هل أستطيع أن أصبر؟ لقلت لك نعم، ولأن سألتني ما دليلك؟ وأنا لا أستطيع أن أصبر، وأجد نفسي عجولاً مُستعجلاً في كل شيء، فلا أصبر على شيء، لقلت لك: لو لم تكن قادراً على الصبر لما أمر الله به، فالله لا يأمر بشيء لا يستطيعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (127)

(سورة النحل)

أمر بالصبر **(وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ)** ولو لم يكن الإنسان قادراً على التصبر، لما أمره الله تعالى، كيف نصبر؟ قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى تَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّجِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعِيفُ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْغِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَخَذَ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ }

(أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي)

أن تتصبر والله يُعطيك الصبر، كيف أنصبر؟ مارس عبادة الصبر، خُذ أسبابها، فم بها مرةً بعد مرة، حتى يُعطيك الله عطاءً عظيماً هو الصبر، حتى تتسلح بالعزم والإرادة، من أعظم ما يكون في ذلك، أن تتأمل في عاقبة الصابرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68)

(سورة الكهف)

الإنسان لا يصبر إذا لم يعرف لكنه يصبر عندما يعرف:

الإنسان لا يصبر إذا لم يعرف، لكنه يصبر عندما يعرف، الآن لو قلت للإنسان عندك هذه البيضة، وبعدها تحمّل عشر دقائق، وبعدها شفاء تام، دواءٌ مُرٌّ خُذْهُ، وبعده شفاء تامّ مما تُعانيه، يتصبر، والدواء صبرٌ لأنه مُرٌّ، والصبر له من اسمه نصيب، فهو مُرٌّ، فيتجرّع الدواء ويصبر عليه، لأنه يعلم أنه بعد أخذه سيشفى، ونحن في الدنيا في الابتلاءات، إذا خيرنا أننا بعد هذا الصبر سنوفى أجرنا بغير حساب، تصبرنا على ما في الدنيا، فأخذنا بعزم الأمور، واستحققنا جنة ربنا التي خُلقنا من أجلها. أيّها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزنَ عليكم، واعلموا أنّ مَلَك الموت قد تخطّأنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلننَّجِدْ جذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من اتّبع نفسه هواها وتمتّى على الله الأمانى، واستغفروا الله. الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات. اللهم برحمتك غمّنا، واكفنا اللهم شرّ ما أهُمنا وأغمّنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توقّفنا، نلّناك وأنت راضٍ عنّا. اللهم إنّنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قولٍ وعملٍ. اللهم إنّنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار. اللهم إنّنا نسألك الصبر على قضائك، والصبر على طاعتك، والصبر عن معصيتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنّنا نسألك العزيمة على الرشد، والعزيمة على الخير، والعزيمة على ما يرضيك عنّا يا أرحم الراحمين. اللهم أهلكنا في عزة، كُنْ لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرّاً وحافظاً ومؤيداً وأميناً. اللهم إنّ الصهاينة المُعتدين قد اقتحموا مسرى نبيك صلى الله عليه وسلم. اللهم إنّنا نسألك أن تجعلنا أهلاً لتحرير مسرى نبيك من الصهاينة المُعتدين. اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بهم وبمن والاهم وبمن أبدهم وبمن وقف معهم في سرٍّ أو علن، إنك وليّ ذلك والقادر عليه، أقول ما تسمعون وأستغفر الله، والحمد لله ربّ العالمين.